لواء الاسكندرونة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

(خليج الاسكندرونة) هو الخليج الوحيد على الساحل السوري ذو القيمة الاقتصادية والحربية البارزة ، ويبلغ طوله نحو ستين كيلومتراً وعرضه دون الاربعين وعمقه ٣٧ متراً ، والمسافة بينه من مدينة الاسكندرونة وبين مدينة جرابلس على نهر الفرات لاتتجاوز مائة ميل في حين ان المسافة بين بيروت وبين مدينة (ابو كمال) على الفرات ايضاً تربي على ثلاثمائة وخمسين ميلاً وهذا يدلنا على ما لهذا الخليج من الشأن الاقتصادي في مستقبل الايام بالنظر الى انهُ يحوي الميناء الطبيعي على البحر المتوسط الابعد ليس لشمال سورية فقط بل له وللقسم الشمالي من العراق ايضاً . وان لنظرة واحدة على المنظور الجغرافي تقنع المرء بان هذا الخليج هو المنفذ الطبيعي للاساطيل يحميها من عواصف البحر واخطار التواصات ويزودها بمعظم ما تحتاج اليه

(لواء الاسكندرونة) يتألف لواء الاسكندرونة من الاقضية الثلاثة الآتية (١) الاسكندرونة (٢) قرق خان (٣) انطاكية . ويهمني ان اوجه نظركم الى ان الكتب والاحصائيات التي وضعت قبل هذه الازمة وما فيها من اغراض في التحريف والتبديل ومخالفة الواقع نصت على ان الترك في اللواء هم اقلية. فقد جاء « في الجزولة الآرية » للاستاذ وصفي زكريا ص ٥٦ وقد طبعت سنة ١٩٣٤ ان الترك مع التركمان يؤلفون من خمسة وثلاثين الى اربعين في المائة من مجموع السكان، وفي الاحصاء الرسمي الذي صدر في حلب سنة ١٩٣٢ كان عدد السكان في اللواء كما يأتي بالتقريب ٢٠٠٠٠ من العرب السنيين و ٥٥٠٠٠ من العرب النصيرية و ٢٥٠٠٠ من العرب المسيحيين و ٤٤٠ من اليهود و ١٣٥٥٠ من الارمن و ٢٠٠٠ من الكرد و ١٠٠٠ من الشركس و ٧٠٠٠٠ من الترك. وجاء في الملحق رقم ٣ من البيان الذي اصدرتهُ اخيراً لجنة الدفاع عن الاسكندرونة ان مجموع عدد السكان في اللواء ٢١٩٠٨٠ منهم ٢٤٢٠٨٥ من الترك و ١١٠٠٠٣ من العرب و ٢٤٠٩١١ من الارمن و ٥٨١٧ من سائر العناصر فيكون الترك بنسبة ٣٨٠٩٠ في المائة والعرب ٥٧٠٠٧ والارمن ١١٠٣٧ وسائر العناصر ٢٠٦٦

وقد طبقت السلطة الفرنسية على هذا اللواء المعاهدة التي عقدتها مع الترك في اليوم العشرين

---

(١) نص المحاضرة التي القاها في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة في مساء يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٣٧

من اكتوبر — تشرين الاول — سنة ١٩٢١ وهي معاهدة انقره فكان مستقلاً في مقاومته وزراعته واشغاله العامة وكان المتصرف فيه مربوطاً بمندوب المفوض السامي وكانت اللغات الرسمية فيه العربية والتركية والفرنسية . ومما هو جدير بالتدوين ان الدولة المنتدبة غيّرت في حدوده الجغرافية وتقاسيمه السياسية بالنسبة الى منطقة حلب كثيراً يضم اليه اكبر عدد من الترك ممكن ويخرج منه اكبر عدد من العرب ومع ذلك فقد أتت النسبة المئوية كما تقدم ، وفي (الجزيرة الاثرية) ان العشيرية يقطنون في الاسكندرونة والساحل الممتد منها الى بلدة عرسوس وفي نفس انطاكية والجبال الممتدة منها غرباً نحو ميناء السويدية ، ويقطن الارمن في جبل موسى واعضاده الممتدة حتى ساحل البحر وفي ناحية كسب وفي بلدة قرق خان ، ويقطن الشركس في قرى حران والريحانية وهم من سهل السمق ويقطن الترك وكذلك التركمان — وهم الذين نزلوا تلك الانحاء في زمن الدولتين النورية والصلاحية — في جبل السكام واعضاده الممتدة شمال الاسكندرونة وشرقها وفي بعض سهل السمق وفي الجبل الاحمر واعضاده الممتدة الى جنوب عرسوس وكسريك وينطق الكرد في حرة اللجة شمال السهل المذكور

ويوجد ان الامية في لواء الاسكندرونة ٥١ في المائة بينما هي في لبنان ٤٢ وفي دمشق ٥٥ وفي حلب ٦٣ وربما استفادت هذه المنطقة من نهر العاصي فائدة كبيرة من مائه لاجل الري ومن قوته لاجل تحريك الآلات وتوليد الكهربائية . فقد وجد ان قريباً من الساحل بالقرب من انطاكية في سنة ١٩٣٢ ثلاثين متراً مكعباً في الثانية في حين لا يتجاوز هذا التقدير في نهر بردى اكثر من اربعة امتار ، ووجد انهُ ينحدر انحداراً كلياً بالقرب من انطاكية قد يولد للبلاد بقوة تبلغ الوف الاحصنة ، ويوجد معدن الكروم في الاسكندرونة والذهب بمقادير ضئيلة في سهل نهر بالقرب من انطاكية ، والنحاس بمقادير قليلة وفلز المنغنيز الجيد في جبل السكام او امانوس

الشهادة بسوريّة هذا اللواء قبل ان تخلق قضية الاختلاف عليه بين الترك والعرب : قال بليون ان الصخور التي تفصل الشام من الشمال عن اسيا الصغرى ليس لها مثيل في التخوم الطبيعية ، وقال شيخ الربوة وهو من علماء القرون الوسطى حد الشام من ملطية الى العريش وعرضه الاعرض من منبج الى طرسوس . وعدّ ياقوت الحموي من الشام الثغور وهي المصيصة وطرسوس وآذنه وانطاكية وجميع العواصم من عرعش والحدث وغير ذلك ، وقال ابن حوقل المتوفى في القرن الرابع للهجرة في كتابه (المسالك والممالك) « ان انطاكية أزهر بلد الشام بعد دمشق » وجاء في المعلمة البريطانية في طبعتها الثامنة « ان الاسكندرونة تقع على اقصى الساحل السوري الشمالي حيث يؤلف هذا الساحل مع ساحل آسيا الصغرى او الاناضول زاوية . . . . وهذه المدينة هي ميناء حلب وتكون بطبيعة الحال ميناء سكة حديد تمتد على نهر الفرات » . وجاء في دائرة

المعارف الاسلامية « ان الاسكندرونة او اسكندرية العرب — كما جاء في مخطوطات الاصطخري وابن حوقل — هي ميناء حلب على البحر الابيض المتوسط وانها كانت في عهد العرب تابعة لجند قنسرين — حلب (اي منطقتها الحربية بحسب تقاسيم تلك الايام العسكرية) . انها عمرت في زمن ابي الفداء ولكنها استعادت بعد ذلك شأنها باعتبارها ميناء لمدينة حلب التي كانت آخذة في الاتساع » . وقال استاذنا المرحوم سليم بوزو ان سوريه يعدها شمالاً اسيا الصغرى . وقال (بيدكر) ان حد الشام من طورس الى مصر . وجعل (اليزه ركلو) العالم الفرنسي الجغرافي المشهور حد الشام من جبال الكام الى طورسينا . وقال (فيدال غينه) ان الفرمانات السلطانية والوثائق الرسمية على عهد الدولة العثمانية كانت تسمي البلاد التي تحدها جبال طورس شمالاً وصحراء سينا جنوباً « عربستان » او بلاد العرب . وجاء في بيان لجنة الدفاع عن الاسكندرونة ان صديقنا العلامة المرحوم الاستاذ هوجارث عميد جامعة اكسفورد قال « اذا اخذنا سورية كقطر يحده البحر وصحراء الحماد وجبال طورس وصحراء سينا تكوّن لدينا متبسط جغرافي متناسق بحدود طبيعية صريحة وهي موحدة في مظهرها الخارجي . . . . وان مكانة الاسكندرونة ناشئة عن علاقتها مع ممر يلان ، وهو باب سورية في عهد التوارخ — الذي هو عبارة عن مدخل عين الى سهول سورية الشمالية التي كانت انطاكية وحلب عاصمة لها منذ القدم وكذلك فان الاسكندرونة هي المرفأ المهم لسورية الشمالية . . . . . وان الخصائص الجغرافية التي تتمتع بها انطاكية تجعل منها عاصمة سورية قالما يتجه الطريقان المباشران من البحر الابيض المتوسط الى الداخل الخ »

(الشعوب السامية ولواء الاسكندرونة) ذكر المؤرخان اليونانيان (هيرودتس) و(زينوفون) ان (ميرياندروس) وهي مدينة كانت قريبة من الاسكندرونة كان يقطنها فريق من الفينيقيين ابناء عم العرب ، وجاء في كتاب (تحمل التاريخ) للاستاذ (كوك) ان السلالة السامية — وهي تشمل الارمن والبابليين والاشوريين والعرب والفينيقيين والعبرانيين والموآبيين تسكن المنطقة التي تحدها فيما يحدها من الشمال جبال طوروس . وفي بيان لجنة الدفاع عن الاسكندرونة ان مباحث علم اصل البشر التي قامت بها مختبر الجامعة الاميركية في بيروت والتي اجريت في امستردام واكسفورد دلت على ان سكان الجبال في مناطق الاسكندرونة وانطاكية لا يختلفون في شيء عن سكان جبال سورية ولبنان وبلاد العرب الجنوبية ، ولدينا نص تاريخي على ان الملكة زنوبيا التدمرية (الزباء) دخلت انطاكية فاتحة في سنة ٢٦٦ للمسيح وان صورتها نقشت على سكة هذه المدينة ولدينا نصوص اخرى على اتصال العرب بتلك الانحاء منذ القديم . فقد جاء في التاريخ ان عربان البادية هاجموا ضاحية انطاكية في سنة ٤٠٤ للمسيح ، وفي مدينة (الرها) في الشمال كان بيت

(الاغر) يسيطر على القبائل العربية في شمال سورية وبعد ما فتح ابو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد الى قنسرين فما نزل بالحاضر زحف عليه الروم بقيادة ميناس اعظم رجالهم بعد هرقل فالتقى الجيشان في الحاضر فقتل ميناس ومن معهُ فانهزم الروم فثاروا على دمه حتى لم يبق منهم احد واما اهل الحاضر فارسلوا الى خالد انهم « عرب » وانهم انما حضروا ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم

ومما هو حري بالتدوين ويدل على نوع التعصب التي كانت تقطن تلك الانحاء وانها سلالات سامية انّ ابا عبيدة ابن الجراح لما وصل الى جبل اللكام (امانوس) وهو الجبل الذي يمتدىء من البحر في منطقة الاسكندرونة صالح سكانه (الجراجمة) وهم اصل الموارنة في لبنان — وكانوا يومئذٍ بين بياس وبوقا — على ان يكونوا اعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبل اللكام — والمسالح جمع مسلحة وهي الحامية المسلحة

ومن النصوص الدالة على ارتباط هذه المنطقة بسورية ارتباطاً وثيقاً خاصًّا ان السلوقيين كانوا يسمون انطاكية (انطاكية سورية) ليفرقوا بينها وبين المدن السورية الاخرى التي تشاطرها هذا الاسم، ودُعي عمر (يملان) او عمر (ايسوس) في الوثائق التاريخية (باب سورية)

ولهذه المنطقة شأن عظيم في تاريخ النصرانية فقد دخل هذا الدين انطاكية في سنة ٢٣ للميلاد ومن هذه المدينة انتشر التبشير به في الانحاء وفيها نشأت الخلافات الدينية المذهبية. وفي العهد الروماني ظهر فيها رجل من رجال النصرانية كان لهُ شأن كبير وهو يوحنا فم الذهب الذي اشتهر بصلاحه وطلاقة لسانه ومواعظه التي كان يلقيها على اهل انطاكية الى ان نفي ومات في طريقه الى المنفى، وكانت انطاكية في سالف العصر مقرًّا لجميع البطاركة وهي لا تزال الى الآن مقرًّا لبطارك الشرقيين ويطلق عليهم اسم بطارق انطاكية وسائر المشرق والنصرانية هي اينما سورية والنصارى فيها من صميم السوريين

(الوجهة الاقتصادية) تتجلى الوحدة الاقتصادية بين هذا اللواء وحلب بان عاصمة الحمدانيين هي السوق الطبيعية لمنتجات هذا اللواء من خضر واثمار وحرير وفحم نباتي واسماك، وترى هذا اللواء وما لها من مناظر خلابة ومياه عذبة وهواء نقي هي المصطاف الطبيعي للحلبيين، والقسم الاعظم من التجارة الخارجية التي تمر بالاسكندرونة هي اما ان تكون واردة من حلب او صادرة اليها. ودلت الاحصائيات بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٣٣ على ان ٢١ في المائة من مجموع ما دخل مرافىء سورية الاربعة — وهي بيروت وطرابلس واللاذقية والاسكندرونة — من صادرات وواردات (وبضائع النقل «ترانزيت» داخلة في ذلك) هو من اسكلة الاسكندرونة

في النصيرية » هي طائفة النصيريين المنتشرة في هذا القرار وفي الجهات المجاورة له وتسمى النصيرية نسبة لنصير غلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب . وقد اشتهر في الكتب التي كتبت عنهم قديماً انهم يؤلهون علي بن ابي طالب ويعتقدون ان سكنه السحاب حتى اذا مرت بهم سحب قالوا السلام عليك يا ابا الحسن . ويقولون ان الرعد صوته والبرق ضحكه . وان سلمان الفارسي رسوله ويعبرون ابن ملجم قاتله ويقولون انه خلص اللاهوت من الناسوت . وفي بعض الكتب ان كلمة « عمس » المختزلة من علي ومحمد وسلمان هي كلمة المرور بينهم ، وهم يخفون عقائدهم عن غيرهم ويعظمون الخمر ويرون انها من النور لاجرم انهم يعظمون شجرة العنب ويتجنبون قطعها ولكن جاء في المجلد السادس من خطط الشام للاستاذ كرد علي ان صاحب « تاريخ العلويين » قال انهم ليس لهم ديانة خاصة بل هم مسلمون شيعيون جعفريون يعتقدون ان الائمة الاثني عشر معصومون من الخطأ وان قول الامام دلالة قطعية وهو لا يمكنه ان يخالف القرآن او الحديث ولا يحق لاحد ان يؤول القرآن سوى اهل البيت ، وهم ينتسبون الى طريقة تدعى الجيلانية وهذه الطريقة هي التي ادت الى افتراقهم عن بقية الاثني عشرية . وهم فيما بينهم قد تفرقوا الى عشائر وافخاذ ترجع كلها الى اربعة اصول كبيرة هي الخيّاطون والحدادون والكلبية والناورة

وقد اتفق غير واحد من رجال الدين المتأخرين بصحة اسلامهم استناداً الى ما جاء في الحديث « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو منا » والى آيات واحاديث اخرى وفتاوى وردت في كتب الفقهاء المتقدمين

(الاسكندرونة) وتقع الاسكندرونة على الطرف الشرقي من الساحل الجنوبي وعلى القرب منها والى الشمال تقع (ياس) حيث تبتدىء الحدود بين تركيا وسورية ، وقدر لي ان زرت الاسكندرونة في سنة ١٩١٢ لما كنت ذاهباً في الجيش العثماني الى حرب البلقان فألفيتها مدينة ذات مناظر خلابة تحيط بها روابٍ زمردية من جبال اللكام وهي واقعة في منبسط من الارض ويبلغ عدد سكانها في الاحصاء الحديث زهاء خمسة عشر الفاً فيهم العرب والترك والارمن ، وهؤلاء لجأوا اليها بعد الاضطهادات التي ذاقوها في بلاد الترك ، والعرب سنيون وعلويون ومسيحيون من الروم الارثوذكس غالباً ، وذكر الذين زاروها في الآونة الاخيرة ان مبانيها مثل سائر مباني المدن الشرقية الناهضة المتصاعدة بالمدنية الحديثة منها القديم المرقع والتداعي والاكواخ التي يقطنها الفلاحون في الجهة القريبة ومنها الجديد الذي لا يختلف عن مباني بيروت لا بحجره ولا بالآجر الاحمر — القرميد — الذي يكسو سطوحه . وكذلك الحال في طرقاتها وشوارعها فمنها الضيق المعوج ومنها المستقيم المعبد العريض ولها مرفأ صغير في جهتها الشرقية والقرب منهُ المكس والمعامل والمستودعات التي بنتها شركتا النفط وشركة السوس

ولما زرتها لم يكن قد تمّ بعد فرع سكة الحديد الذي يربطها بحلب وهو فرع يمتد منها الى قلعة عجيبة على رأس هضبة تدعى (طوپراق قلعة).

أطلقوا على المدينة من عهد (يلان) او عهد ايسوس وهو الذي دعاه الأقدمون (باب سورية) ومشينا في طريق منحدرة فوجدنا المستنقعات تحيط بهذه المدينة وهذا سر وباء الملاريا او البرداء التي تفتك بأهليها في أيام القيظ والخريف، ويبلغ الحر فيها مع الرطوبة في الصيف درجة الاشباع لوقوف جبل اللكام سدّاً من ورائها حتى اذا اصطدم هواء البحر بهذه الجبال تجمعت فيه الأبخرة وتكثفت بحيث تحجب قرص الشمس

وأذكر أني أكلت فيها سمكاً من الفرجان مقلوّاً لم أستطب سمكاً مثله وقد اشتريته من طاهٍ يحمل مقلاته ويبيعه في الشوارع

بنا هذه المدينة (انتيغون) أحد خلفاء الاسكندر في سنة ٣٣٣ قبل المسيح تخليداً للنصر العظيم الذي أحرزه هذا الملك الجبار على داريوس ملك الفرس في معركة (ايسوس)، ولما فتحها المسلمون في زمن ابي عبيدة بن الجراح وجدوها خراباً يباباً فلم يرد لها ذكر في فتوحاتهم لكنها استعادت سؤددها بالتدريج حتى ان السيدة زبيدة زوج هرون الرشيد بنت فيها حصناً او صرحاً وما كان نفس الصرح الذي رممهُ وبرسمهُ احمد بن ابي داود الأيادي في زمن الخليفة الواثق وظلت هذه المدينة مرمًى للغزاة من المسلمين والروم الى أن استولى عليها الصليبيون فعادت الى الخراب وأصبحت ملجأ للقوص من البر والبحر الى ان طلب التجار الافرنج المقيمون في حلب من الدولة العثمانية في القرن السادس للهجرة ان تجعلها مرسى حلب فأجابتهم الى طلبهم، وكان لها شأن قبل فتح قناة السويس لان الانكليز اتخذوها اقرب محطة للهند بطريق البحر المتوسط وقد تستعيد هذا الشأن اذا كثرت وتنوعت الطرق التي توصلها بالداخل وفي سنة ١٢٤٨ جاءها ابرهيم باشا المصري بجيوشه وأنشأ فيها مصنعاً للسفن يأتيه بالأخشاب اللازمة لهُ من جبل اللكام. وفي سنة ١٢٩٥ جعلتها الدولة العثمانية قضاء تابعاً لولاية حلب

***

(الطاكية): شادها سلوقوس نكاتور احد خلفاء الاسكندر الثلاثة في سنة ثلاثمائة قبل المسيح ودعاها باسم والده. ثم استولى عليها الرومانيون فابتدأ حكمهم فيها في سنة ٦٤ ق. م. وتربع على كرسي الولاية فيها اكابرهم «الجولة الاثرية ص ٥٢» امثال بومبيوس ويوليوس قيصر وانطونيوس: جاء هذا اليها في سنة ٣٨ ق. م. ومعهُ زوجه كليوپاترة، وفي التاريخ ان جوليا دومنا السيدة السورية الحمصية زوجة الامبراطور سبتيموس سفيروس كان لها فضل عظيم على

مدينة انطاكية حين اجتاز بها كرا كلا الموفود في حمص على ان يرد الى هذه المدينة ما سلخهُ والده الامبراطور عنها من الامتيازات . وفي اواخر القرن الرابع للمسيح دخلت انطاكية في قبضة البيزنطيين . وفي سنة ٦٣٨ فتحها المسلمون على يد ابي عبيدة بن الجراح .

وفي كتاب « الاعلام » للاستاذ خير الدين الزركلي «ان حبيباً الفهري وهو ابو عبد الرحمن حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي دخل دمشق مع ابي عبيدة فولاهُ ابو عبيدة انطاكية وقد توفي سنة ٤٢ هـ » . وروات انطاكية الرخاء وتقدمت تقدماً كبيراً في زمن الامويين

وفي اواخر القرن الخامس للهجرة فتحها الصليبيون . ولكن في سنة ٦٦٦ هـ افتتحها عنوة الملك الظاهر بيبرس بعد معركة من اشد المعارك هولاً على السكان ، ثم جاء الفتح العثماني فبقيت في قبضة العثمانيين الى اواخر الحرب العالمية . ومن المهم ان يذكر القراء ان الاهلين فيها وفي سائر انحاء اللواء استقبلوا الجيش العربي استقبال الفاتح المنقذ وايدوهُ في اعماله . وانطاكية مذكورة في التاريخ دائماً بالزلازل التي كانت تنتابها كالزلزلة العظيمة التي اصابتها سنة ١٨٢٢ . وكان عدد سكانها في زمن ثيودوسيوس مائتي الف ولكنهم كانوا في سنة ١٨٣٥ خمسة آلاف وستمائة يضاف اليهم ستة آلاف جندي مصري بقيادة ابراهيم باشا ويبلغ عددهم اليوم خمسة وثلاثين الفاً . وقد جلب الى هذه المدينة ماء (دفنة) في انابيب حديدية وانيرت بالكهرباء وفيها اربعة وعشرون مسجداً واربع كنائس وكنيس واحد لليهود . وصادراتها الصابون وفياخ الحرير والصوف والحبوب وزيت الزيتون والسمك والقطن والتطران . وفيها صناعات متنوعة للنزل والدباغة والنسج والخشب وفاكهتها من اجود فاكهة . وذكر لي صديق من اهلها ان اربع خوخات — دراقنات — من خوخها تزن اقة كاملة ، وهذه المحصولات لا تباع في اسواق حلب فقط بل ان فاكهة انطاكية تزاحم فاكهة الشام في اسواق بيروت ايضاً . واذا صحت الاخبار التي تناقلها البرق اخيراً وأفاضت في ذكرها الصحف من ان في هذا اللواء ينابيع للنفط بالقرب من الاسكندرونة متصلة في جوف الارض بينابيع الموصل . فسيكون لهذه الينابيع شأن خطير في مصير هذا الجزء من بلادنا العزيزة

***

لقد آمنت بالحق قبل ان أؤمن بالوطن ولو لم اعلم ان هذا اللواء جزء من سورية العربية لما تجزأ ما تنزلت للوقوف هنا أرهق أسماعكم الحساسة وأضيع أوقاتكم الثمينة بالدفاع عنهُ فالحق اولاً ، والوطن ثانياً ، ومن لا يؤمن بالحق لا يؤمن بالوطن